

... والبادية ؟

ويعجني منها جمال ارضها الفتان جمال طبيعي ساذج
انزه نفسي في محاسنه كلما استيقظت باكراً اتسمع بكاء الندى
وحفيف الشجر ورفرفة الطير وخرير الامواه وتوقيع الاوتار على
حواف الانهار واتنسم فيح العبهر وريح الخزامى وتفتح
الاکمام بين احمرار الشقيق وتناسق العقيق.

ويعجني من البادية منظر ليلها تحت ضوء القمر
الوضاح اذ اتصور بين طيات امواجه الفضية مخاطرة
الاسد ومراوغة الثعلب وتلاوذ القنفود وتسلسل الذيب .
ويعجني منها اكواخها البسيطة التي الجها فأجد فيها
العروب الطروب والهيفاء المخصرة اسرة كريمة غفيفة تمثل
الوجوه بيضاء محمرة والعيون حوراء دحجاء يفتحها الغزل
ويغضيها النجل وقد قال المتنبي من قديم :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية

وفي البداوة حسن غير مجلوب

يعجني من البادية كل ذلك الا انه خيال رباه الشعراء
في النفوس وبذروه في الاذهان وابعد الناس عن الحقيقة
الشعراء.

ان البادية في الحقيقة مأوى القبح والبشاعة ومحط
الالام والشقاوة.

استفهام سمعته كثيراً اثناء جولاتي في انحاء الایالة
وسؤال وجهه الى عدد عديد من رؤساء القبائل لان رؤساء
القبائل - الا ما شذ - يحبون البادية ويعطفون على
اهاليها.

ولقد تعجني البادية بل اراني مولعاً بها الى حد الحنين
اليها والعشق فيها...

يعجني من البادية اني اجد فيها
متعة لا أجدها في الحاضرة حتى ليخيل الي ان الذي يسكن
البادية هو الذي يعمر الارض ويحيى الحياة الحققة اذ يجاور
الطبيعة ويساكن التكوين جنباً لجنب فيصبح مع الصبح
ويمسي مع المساء ويساير الفصول ويضاحك الاشعة
ويغازل الانواء ويداعب قطرات الماء

ويعجني منها فضاءها الواسع الرجا الساكن الصفحه
الهادئ النأمة ذلك الذي لأحسب ان دونه في المدن
يسع بعض ما يسعه من جوانب تفكيري وآلامي وآمالي في
الحياة. فضاء ارسل فيه البصر على انفساحه فلا يرتد علي
حاسراً ببنائة أو جدار ولا كنه يظل في تيه مغمور بآثار
قدرة الخالق المبدع من المهامه الفيح والصحاري القفراء الى
ان يصل المرمى وابعد منه حيث تلتقي اسراب الافكار مني
بقطعان الظباء في مسارحها من ارض الله

أنظر اليها فيلوح لي على صعود نجد او في انحدار غور
او في منعطف سبيل شخص المرأة البدوية شعناء وعثناء
ترزح تحت قرب الماء وحصص الوقود وجزاف الكلاء
وتقطع السهل والوعر ركضاً على الاقدام وجبواً على الاكف.
وأنظر اليها فأرى كخيخانة من العشب اليابس ومن
رجيع البقر او خياماً شعرية فاحمة بالية طالما أكل عليها
العفاء وشرب مساكن لا تقني من قر ولا حر وحو لها
الازبال متراكمة والسكان رائحين غادين كالضباع حيارى
والشاربين سكارى والانعام سائمين متفشي العائم مبعثري
الأكمام ذوي قمصان قدمه واردية ترابية وسخه وبرائيس
كلاً حلاس ونعال مخصوفة هي الحفاء نفسه.

وأنظر اليها فأبصر العورات عرايا والعاهات مفضوحة
والوجوه ملتفعة بالركب والناس جياغاً والامراض تفتك
فيهم فتكا والاطفال هاملين.

مباءة الجهل وبؤرة الضعف ومستنقع الهمجية هذه
حالة البادية، حالة تدعو الى الشفقة والرحمة.

اجل اعترف بان البادية احسن أمراً مما كانت عليه
وأعترف بان أولي الامر قاموا فيها باصلاحات كثيرة
ومجهودات عظيمة عليها يشكرون ولاكن استنكر الفرق
القائم الآن بين البادية والحاضرة والبون الشاسع الذي
يفصلهما مع ان البادية يجب ان تناسي الحاضرة في الحياة
وتسايرها جنباً لجنب وقدماً لتقدم.

ان البادية خدر الجنس الخالص من شائبة الدخيل
وهي منبع ثروة الحاضرة ومصدر نعمها ومستودع ازوادها
واقواتها بكل ما فيها من جلبة وضوضاء وعقول ومجهودات
وانفاس وهي الكادة التابعة والحاضرة مستريحة راتعة في
بجبوحة الدعة والوداعة والترف. فضل البادية عليها
كفضل الغنى على الفقر والقدرة على العجز وحسن الحيلة
على سوء الحيرة.

اليس من الجائز اذن ان تستفهم البادية في اوقات
فراغها وسوانع راحتها، وهي قليات، في شأنها وأن ارفع
على هذه الصحيفة استفهامها هذا؟

هي محتاجة الى ترميم مادي وتلقيح ادبي، محتاجة الى
رفق بها في الضرائب، محتاجة الى اصلاح في طرق اجراء
الاحكام، محتاجة الى اعانة الحكومة في هاته الازمة التي
وان كانت عامة فهي في البادية اشد وانكى لانها اول
وآخر من يحس بالآثم من اعضاء الامة بصفتها الحاسة
الاولى بها واليد الفاعلة فيها الخير والماء والقوة، محتاجة الى
زيادة في الملاطفة من قبل الرؤساء.

فالى الحكومة التي تعهدت بعنايتها ودرايتها الحواضر
حتى اشرق فيها فجر الاصلاح واخذت على عاتقها انتشال
المغرب كله من وهدة سقوطه ارفع رجائي في هذا الجزء
العظيم من كلية المغرب والذي هو الاقدر على حفظ كيانه
واستبقاء الرmq فيه وما ذلك على همم الرجال بغريز.